لمحة حول مناهج وموضوعات الكتابة التاريخية عند المؤرخين المسلمين:

سلك المؤرّخون المسلمون في كتاباتهم التاريخية منهجين أساسيين؛ المنهج الأول: التأريخ الحولي أو التأريخ حسب السنين، ويكون مع ذكر السند أو دون ذلك، والمنهج الثاني: حسب الموضوعات.

1. التأريخ الحولي أو حسب السّنين: وهو التّأريخ للأحداث سنة بعد سنة، حيث يذكر المؤرخ السنة أولا، ويذكر ما حدث فيها من الأحداث، وينتقل إلى حوادث السنة التالية بقوله: "ثمّ دخلت سنة كذا..". وفكرة الكتابة التاريخية على هذا المنهج ليست ابتكارا للمؤرخين المسلمين؛ بل كانت معروفة في الكتب الإغريقية، كما كانت معروفة في الأدب السّرياني.

وانتقل هذا المنهج إلى المؤرّخين المسلمين عن طريق رجوعهم إلى المصادر الإغريقية الأصلية مباشرة، إضافة إلى احتكاكهم الثقافي بالنصارى السريانيين خاصة في سوريا. وقد أبدع المسلمون في هذه الطريقة من الكتابة وطوّروها، ومن عيوب هذا المنهج أنّه يُمزّق سياق الحادثة التاريخية الطويلة التي تتواصل وتمتدّ إلى عدد من السّنين، فلا يذكر المؤرخ الذي يتبع المنهج الحولي منها إلا ما يخصّ حوادث السنة التي يجمع كلّ أحداثها، فإذا كان لهذه الحادثة بقية في سنة ثانية ذكرها متفرقة ممزقة في جملة أحداث كل سنة.

وقد انتقد ابن الأثير (ت: 630هـ)في كتابه "الكامل في التاريخ" هذا المنهج حيث يقول: "..ورأيتهم أيضا يذكرون الحادثة الواحدة في سنين، ويذكرون منها في كل شهر أشياء، فتأتي الحادثة مُقطّعة، لا يحصل منها على غرض، ولا تُفهم إلا بعد إمعان نظر، فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد، وذكرت كلّ شيء منها في أيّ شهر أو سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة...". وقد حاول ابن الأثر قدر المستطاع تجنّب الوقوع في العيب الذي أوضحه في الكتابة على المنهج الحولي، فجمع عناصر الحادثة التي تتصل إلى عدد من السنين، ويصل بين أجزائها في سنة معينة، وفي موضع واحد حتى تبرز القيمة الخبرية للحادثة. ورغم كلّ ذلك فإنّه لم يُطبّق هذه الطريقة دائما، مثل ثورة الزنج التي وردت في الكامل متمزّقة على السّنين، والتي دامت حوالي أربعة عشر سنة.

ومن المؤرّخين المسلمين الذين اشتهروا بالكتابة على المنهج الحولي: الطبري (ت: 310هـ) صاحب كتاب "تاريخ الأمم والملوك"، ابن الجوزي (ت: 597هـ) صاحب كتاب "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، النويري (ت: 732هـ) صاحب كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب"، والذّهبي (ت: 748هـ) صاحب كتاب "تاريخ الإسلام"...

2. **التأريخ حسب الموضوعات:** وهو إلتزام المؤرخ طريقة التأريخ إمّا للدول، أو الطّبقات، أو الأنساب، أو التأريخ المحلي، أو التراجم...إلخ

أ- **التّأريخ للدّول:** لقد اهتمّ العديد من المؤرّخين المسلمين بالكتابة التاريخية حسب الأسرات الحاكمة، أو الدول أو العهود، ولعلّ أقدم كتاب أُلِّف في ذلك هو "تاريخ اليعقوبي" من مؤرّخي القرن الثالث الهجري، ومن أهم الكتب التي أُلّفت في ذلك كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر" لابن خلدون (ت: 808هـ).

ب- **التّأريخ حسب الطّبقات:** ارتبط التأريخ حسب الطّبقات بعلم الحديث ارتباطا وثيقا، كما ارتبط بالعلوم الدّينية، ف"طبقات ابن سعد"، و"طبقات الشافعية" لتاج الدين السبكي، و"طبقات الحُفّاظ" للذّهبي.. هي تراجم لشخصيات مُحدّثة هامّة..، ثمّ استخدمت الكتابة في الطّبقات في ميادين غير دينية، ك"طبقات الأطبّاء" لابن أبي أُصيبعة، و"طبقات الشعراء" لابن المعزّ، و"طبقات النّحويين" للزبيري، والطبقة غالبا ما تُعنى بالمدّة الزمنية التي عاش فيها جيل من المُترجم لهم، ولا تعني التّفاضل بينهم.

ج- **التّأريخ حسب الأنساب:** وهي الكتب التي أُلّفت في رجال قبيلة مُعيّنة، أو ذوي نسب من مستوى مُعيّن، ككتاب "أنساب قريش" لمصعب الزّبيري (ت: 223هـ)، وكتاب "أنساب الأشراف" للبلاذري (ت: 279هـ)...

د- **التأريخ المحلّي:** عُني المؤرّخون المسلمون في كتاباتهم بالتّأريخ لإقليم أو مدينة معينة، ككتاب "تاريخ مكّة" للأزرقي (ت: 250هـ)، "تاريخ دمشق الكبير" لابن عساكر (ت: 571هـ)، وكتاب الدرّة الثمينة في أخبار المدينة" لابن النجّار (ت: 643هـ)...

هـ- **الكتابات التاريخية حول التراجم:** ويمكن تقسيم كتابات المؤرخين المسلمين في هذا الباب إلى ثلاثة أقسام:

- **تراجم أهل القرن:** وهي تلك التراجم التي يُؤرّخ فيها لمن عاش في قرن معين، ولعلّ أشهر ما أُلِّف في ذلك: "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر (ت: 852هـ)، وكتاب: "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" للسخاوي (ت: 902هـ)..

- **التأريخ الفئوي:** وهي تلك الكتابات التي ترجمت لفئة معينة من الناس، ك"الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر، والإستيعاب في أسماء الأصحاب" لابن عبد البرّ...

- **التراجم العامة:** ك"سير أعلام النبلاء" للذهبي، و"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" لابن خلكان..